(٨-٨) : (محمود الإنسان يداعب الأطفال)

بقلم :الصحفي عاطف أبو الرب ؛

مراسل جريدة الحياة .

محمود طوالبة ، كما عرفه الناس في جنين ، هذا الشاب الذي ذاع صيته ، فكان أحيانا يسبب له الاذى والخوف من المجهول . محمود لم يكن خارقا للمعقول ، ولم يأتِ من كوكب آخر ، كان شابا بسيطا ، متواضعا ، تراه فتشاهد البراءة في عينيه ، وقد يكون أبسط مما حاول بعضنا بحسن نية أو سوء نية أن يصفه . لم ألتقه إلا صدفة ، وكنت كلما وقعت عيني عليه ،وهو يسير في مخيم جنين، أو خارجه ، أتأمله ، أحاول أن أعرف ما يفكر به هذا الشاب . حقيقة لم أجد في محمود ما هو غير مألوف ، إلا نظرته الهادئة للأمور ، وحديثه الهادىء مع كل من صادفه من معارفه ، صغاراً كانوا او كباراً ، كان يتكلم بهدوء بلغ حد الخشوع . لم يغره هذا الاهتمام من الآخرين ، ولم يجعله يشعر بالكبرياء ، لكن اعتقد جازما أن هذه الحفاوة كانت تسبب له الإحراج ، فكان يرد على هذا ويجامل ذاك ، وهو يدرك أكثر من غيره أن حركته محسوبة عليه .

ولن يكون حديثي عن محمود مجرد وصف لحركاته ، وتصرفاته ، بل سأتناوله من خلال حادثة بسيطة مع مجموعة من الأطفال تؤكد حقيقة ما أقول ، وتؤكد أن محموداً كان طفلاً في شخص شاب، وكان رجلاً بكل معاني الرجولة ، يحن على الأطفال ، يداعبهم ، ويستمع لكلماتهم ، يجاملهم ، ويشجعهم وهو ماض في طريقه وعمله دون أن يمنعه ذلك من مواصلة طريقه وعمله في إعداد المتفجرات وزرعها في كل مكان قد يصله الجنود في عدوانهم على جنين ومخيمها . نعم لم يحالفه النجاح في كل ما قام به ، لكنه نجح في بذل كل جهد استطاع أن يقدمه من أجل فلسطين .

كان ذلك غداة اجتياح نيسان الكبير ، والذي ارتقى فيه محمود وآخرون سلم المجد ، وسطع نجمه في سماء فلسطين . كان ذلك في خلة الصوحة ، في الشارع الفاصل بين جنين والمخيم . يومها كان محمود